الخصائص الحضارية لقبائل الكانوري في حوض بحيرة تشاد

Cultural Characteristics of the Kanuri Tribes in the Lake of Chad Basin

د. زهرة عبدالقادر محمد: محاضرة بجامعة أنجمينا، تشاد.

د. الحاج محمد عبدالله: محاضر بالمعهد العالي لإعداد المعلمين، تشاد.

د. محمد نصر عبد الرحيم: محاضر بالمعهد العالي لإعداد المعلمين، تشاد.

Dr. Zara Abdelkhadir Mahamat: Lecturer in the University of N'Djamena, Chad.

Dr. AlHadj Mahamat Abdallah: Lecturer at the Higher Institute for Teacher Training, Chad.

Dr. Mahamat Nassour Abdelrahim: Lecturer at the Higher Institute for Preparation, Chad.

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v4i9.1232

الملخص:

شعب الكانوري في أرض حوض بحيرة تشاد من القبائل المشهود لها بالنشاط في كل المجالات، وخاصة في نشر الحضارة الإسلامية، ففيهم العلماء المتميزون الذي عرف التاريخ قدرهم، وأرخ لهم، وانتشرت مدارسهم في طول البلاد وعرضها، وأقبل بعضهم إلى التأليف في شتى المجالات، وتجدهم في المجال الاجتماعي، هم أشد القبائل امتزاجاً مع كل العناصر الموجودة في منطقة تشاد، وليس لهم قيود لمنعهم من الانصهار مع القبائل الأخرى، كما يوجد عند بعض من القبائل مما جعل لهم ذلك تأثيرًا واضحًا في العادات والتقاليد المتولدة من طبائع البشر، وكذلك الكانوري في المجال الاقتصادي هم التجار الأوائل لتلك البقعة لهم دور بارع في الجانب التجاري، هم الزعماء في الصادرات، وكذلك في الجانب الصناعي تجد لهم الأسبقية في دبغ الجلود، وفي التطريز، وفي عصر الزيوت، ولهم تأثير وتأثر في المجتمع التشادي.

الكلمات المفتاحية: الكانوري، قبائل الكانوري، حوض بحيرة تشاد، جغرافيا تشاد.

Abstract:

The Kanuri people in the Lake Chad Basin are tribes known for their activity in all fields, especially in spreading Islamic civilization. They include distinguished scholars whose value history has recognized and recorded, and their schools have spread throughout the length and breadth of the country. Some of them have embraced fields, to write, in various fields. You find them in the social field. They are the tribes most closely mixed with all the elements present in the Chad region, and they have no restrictions to prevent them from merging with other tribes, as is found among some of the tribes. Which made them have a clear influence on the customs and traditions generated by human nature, and also the Kanuri in the economic field are the first traders of that area, they have a prominent role in the commercial aspect, they are the leaders in exports, and also in the industrial aspect you find them the priority in tanning leather, embroidery, and pressing oils, and they have an influence and impact in Chadian society.

Keywords: civilization, Kanuri, Lake Chad Basin, geography of chad.

المقدمة:

منطقة البحيرة منطقة جذب سكاني نسبة لموقعه الاستراتيجي بين المناطق السودانية الواقعة وسط القارة الإفريقية مما جعلها منطقة التقاء طرق لإفريقيا المدارية ومركزاً هاماً لالتقاء طرق القوافل المارة عبر إفريقيا نشاطاً وحياة، فضلاً عن الوصف العام للبيئة الطبيعية لحوض بحيرة تشاد، وأنه من الأماكن المناسبة لقيام الحياة البشرية من جميع الوجوه، فهو محصنا بسلسلة مرتفعات جبلية شاهقة تجعل من انحدار المياه نحو مركزه (بحيرة تشاد) عملية طبيعية، فهو محاط بسلسلة جبلية من الشرق والشمال الجنوبي، حيث نجد من الشرق يحاط بمرتفعات وداي التي تصل قممها العليا إلى 1300 متر، ومن الشمال مرتفعات تبستي التي يتراوح طولها ما بين 3411م إلى 3470م، وإنيدي الذي بلغ ارتفاعه 1450 متر، ومن الجنوب مرتفعات قيرا وأبو تلفان وأبو طيور ويتراوح ارتفاعها ما بين 1100 متر إلى 1700 متر، ويكمل دوره هذه المرتفعات في تحديد وضعية منخفض تشاد الجبال والمرتفعات المتأثرة في (ميتو – بايبوكم) وتشكلت هذه المرتفعات المتكاملة من جميع الجهات طبقة انسياب الأنهار المتواجدة في تلك البقعة المحصنة بمرتفعات جبلية تحمي السكان من الهجمات الخارجية، وقد جذبت تلك الطبيعة الخلابة عناصر مختلفة ومتباينة الأصول، وامتزج بعضها ببعض وصارت في العناصر الهامة التي عمرت هذه المنطقة مما جعلها مركز نشاط وحياة، ونسبة لخصوبتها العالية جذبت إليها كثيراً من العناصر القوية وكذلك خلوها من العوائق الطبيعية كالصحاري – والمرتفعات والغابات أدت إلى تسيير النقل منها وإليها، وساعد ذلك إلى استقرار المجموعات البشرية ونشطت مهنة الزراعة وارتقت بجانب ممارسة مجموعات من السكان مهنة الرعي وذلك لوفرة الماء والكلأ.

انتشرت عدة قبائل حول شواطئ بحيرة نشاط واستقرت فيها وامتزج بعضها ببعض منها هدرة الكوشيين من الأزمنة القديمة. وهناك الهجرة البربرية الصحراوية التي لعبت من ناحية الشمال. وهجرة من ناحية حوض النيل في الشرق ولاسيما بعض الفتح العربي الإسلامي لمصر وشمال إفريقيا. وهناك هجرة من ناحية الغرب (الفلاتة – الهوسا)، ومن ثم اختلط المهاجرون البيض من الحرب والبربر، ولذلك الفلاتة بالمواطنين الزنوج مما أدى إلى ضعف الصفات النقية وتباينت العادات والتقاليد. والأمر الذي أدى إلى تباين الحضارات بحسب تباين الأجناس المستقرة فيها.

وبما أن الدراسة تتناول الخصائص لقبائل الكانوري، فإن المنهج المناسب لهذه الدراسة، هو المنهج التاريخي لمعرفة تاريخ وصول قبيلة الكانوري في حوض بحيرة تشاد وتأثيرها، وللمنهج الوصفي باع طويل في وصف الآثار الطبيعية التي خلفها قبيلة الكانوري في حوض بحيرة تشاد.

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1. إبراز المظاهر الحضارية لقبائل الكانوري في مختلف المجالات (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية).
2. توضيح دور الدعاة منهم، وتأثيرهم في دعم الحضارة الإسلامية في حوض بحيرة تشاد.
3. تأكيد أهمية حوض بحيرة تشاد مما تحتله من موقع هام، حيث يمثل جسر تواصل وتعاون بين الدول الإسلامية.

وتكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على الخصائص الحضارية للكانوري في حوض بحيرة تشاد، لأنها قبيلة دخلت حوض بحيرة تشاد منذ زمن قديم، ووضعت بذور حضارة عريقة تأثرت بها القبائل التشادية وصارت على نهجها، وأوصلتهم جهودهم الطيبة إلى تلك المكانة السامية.

أولاً: نسب الكانوري

هنالك اختلاف آراء حول نسب الكانوري فمنها:

1) من ينسبهم إلى خليط من العمالقة الساو والعرب (أيوب، 1995: 14).
2) هناك من ينسبهم إلى مهاجري مملكة مروي الهكسوس الذين عزو مصر، ويقول القلقشندي في صبح الأعشى بأنهم يدعون الأصول العربية والانتماء إلى العلويين من بني الحسين (الحسيني، 1977: 288).
3) وهناك من ينسبهم إلى الملثمين كما قال الحسيني إبراهيم، أن الملثمين جميعهم ينسبون إلى الحميريين ينسبون إلى سيف بن ذي يزن ملك بن حمير لأن سيف حميري، إذن الكانوري من الملثمين الذين ينحدرون من أسرة حمير الذي انحدر منها سيف بن ذي يزن (الحسيني، 1997: 288).

ويرى إبراهيم صالح أن ملوك الكانوري ينسبون إلى سيف بني ذي يزن وخاصة الملوك الذين توارثوا الملك من الفترة ما بين القرن التاسع إلى الحادي عشر على الرغم من أن الاختلافات والآراء بين الكتاب، إلا أن الذي ينسبهم إلى البربر يستدل بالبنية الجسمية، والذي ينسبهم إلى العرب يستدل بالهجرة العربية القديمة؛ لأن العرب عرفوا بالتجارة والرعي حرفة تستدعى إلى التجوال والترحال، ونسبة لسماحة الطبع العربي وانسجامه وكان الأمر الذي أدى به إلى الامتزاج بالقبائل المتواجدة في منطقة حوض بحيرة تشاد.

وهناك فرض آخر يدل كلمة كانوري بكلمة كانم وهي موطن الغزاة الذين قاتلوا في القرن الرابع الميلادي واستقروا في مملكة برنو، وربما لفظ الكانوري هي كانمري.

ويقول الحسن بن وزان بأن الكانوري خليط من البربر غاوة الذين ينسبون إلى هواره وهم الذين وفدوا إلى البرنو في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وامتزاجهم بساو نتج عنهم الكانوري (ليون، 1983: 77).

وأغلب الروايات تميل إلى نسبهم إلى الطوارق، ونسبة لانحدارهم من بني سيف علي حسب زعمهم فهذا النسب يؤكد صحة انحدارهم من الملثمين، لأن الملثمين جميعهم من صنهاجة الجنوب وينسبون إلى حمير (ملالا، 2005: 578).

وصول الكانوري لمنطقة البحيرة:

وصلت قبائل الكانوري إلى منطقة حوض بحيرة تشاد في دفعتين، وهي من ضمن القبائل التي وصلت منطقة بحيرة تشاد في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، وظهرت كقوة لها نفوذها السياسي في القرن الثامن الميلادي.

- **الدفعة الأولى:** انطلقت من اليمن إلى هذه البلاد عبر بلاد الحبشة ودخلوا السودان متجهين غرباً نحو دارفور، ومن ثم إلى منطقة البحيرة بالتحديد منطقة كانم، وعرفت هذه الدفعة باسم (بني سليم) ومنهم الملك المعروف (بسلم بكري).
- **الدفعة الثانية:** انطلقت مهاجرة من مصر إلى كوار عن طريق مرزق وعرف هؤلاء (ببني هناك أو حناك) ثم اشتهروا باسم (كانمبو) (الحسيني، 259–260).

ثانياً: تسمية الكانوري

تسمية الكانوري:

هناك آراء متضاربة حول تسمية الكانوري بهذا الاسم، فبعض منها يرجع اسم كانوري إلى اسم المملكة الكانمية العظيمة، أي أنهم سموا بهذا الاسم نسبة إلى منطقة كانم التي اشتقوا منها مثل (الكانمبو) فإن كلمة (كانوري) حرفت من كلمة (كانمري) المتصلة بكلمة (كانم) ورأي آخر يقول بأن أصل هذا الاسم أن الأهالي يشتقونه من الكلمة العربية (نور) (الأبقاري: 1424هـ/2003م: 136) أو حاملو النور إشارة إلى الإسلام الذي اعتنقه الكانوري منذ زمن بعيد ونشروه بين القبائل عبدة الأوثان وتذهب العاطفة بشعرهم فيقول شعراؤهم:

وإنما سمى والكانوري * كلغتهم في أصلهم كالنوري**

وأطلق أهالي مملكة باقرمي على (برنو – كانو) اسم (ديبو) وذلك اسم جنس لكل البرنو أي الكانوري، وكذلك اسم (مالاما) وهي يعرفون بهذا الاسم في باقرمي، والباقرمي لا يطلقون اسم (مالاما) إلا على برنو منطقة باقرمي فقط.

أما الهوسا يسموهم باسم (بربري) أما الفونج أطلقوا عليهم اسم (الهمج) وذلك على رعاياهم من السود الذين يسكنوا جنوب سنار (السراج: 1975، 29)

لغة الكانوري:

لغة الكانوري من أوسع اللغات انتشاراً، وهذه اللغة غنية بمفرداتها، إنه يمكن التعبير بها عن أدق خلجات الفكر ولكن لم توجد مؤلفات لهذه اللغة رغم ما فيها من البلاغة، وأما هناك قصص ومأثورات وأخبار تاريخية جمعت من أفواه الأهالي، وذكر أحد المتخصصين في الأصوات واللهجات أن في لغة الكانوري خمسة عشر لهجة وذلك لاختلاف البطون والمكان وهذه اللهجات هي: (باداي– كادوا– كرنفنا – قعار– نبدني– تاجيدى – كادري – كوري–قازر – تماقري – كونفو – كي – ماجي – غوا – نردع).

وتعد هذه اللغة أغلب اللغات السائدة في أرض حوض بحيرة تشاد، حتى أن كلمة كانوري كانت تطلق على جميع العناصر المتكلمة بهذه اللغة بصرف النظر في أصولها (الأبقاري: 62).

أماكن تمركز الكانوري:

يتمركز الكانوري في معظم منطقة حوض بحيرة تشاد، وعرفوا بالنشاط التجاري، والتبادل التجاري يحتاج إلى حركة لنقل السلع من سوق إلى سوق، ومن أهم مناطق تمركزهم:

- أولاً: كانم البحيرة
- ثانياً: الشاطئ الشرقي لبحيرة تشاد
- ثالثاً: الجنوب الشرقي في بحيرة تشاد
- رابعاً: منطقة فتري
- خامساً: منطقة شاري باقرمي
- سادساً: منطقة منواشي بوداي (طرخان: 25)

انتشار الإسلام في مجتمع الكانوري:

دخل الإسلام في بلاد الكانوري في الصدر الأول للإسلام، أي في القرن الأول الهجري السابع الميلادي عن طريق (الفقهاء والدعاة والتجار) الذين أتوا عن طريق مصر، وكان نشاطهم يعتمد على سائر إقليم السودان الغربي والأوسط، وهناك بعض الروايات تقول أن أول من اعتنق الإسلام من ملوك كانم هو السلطان (أومي جلمي) الملك الثاني عشر في عداد ملوكهم قبل الإسلام، والأول بالنسبة لملوك الإسلام، وحكم الإسلام في الفترة ما بين 479هـ–490هـ، الموافق 1085م–1067م واهتم بالعلماء، وأصدر وثيقة في حق أحد العلماء يمنح فيها بعض الامتيازات،

تعبر ما قدمه من خدمات وجهد في سبيل نشر الإسلام في بلاد كانم، ولم يكن اقتصر في ذلك الملك بل اشتهر بها ملوك كانم، وقد أصدروا العديد من المحارم لصالح العلماء ورجال الدين، وكان السلطان أومي جلمي له دوراً بارزاً في نشر الإسلام، وإليه يعود الفضل في إقامة الدولة على أسس مبنية من القيم الأخلاقية والقوانين المستمدة من القرآن الكريم، والسنة المحمدية، وكان أول من جعل للدولة قوانين تحدد للسلطة الملك وتنظيم العلاقة بين الحاكم والرعية، وقام بفصل السلطات التشريعية عن السلطات التقليدية (السفير جلال، 1999: 489).

فأعطى العلماء المناصب التقليدية والقضائية وجعل منهم مستشارين ومؤدبين لأبناء الحكم، ويعتبر الإسلام في حياتهم الجديدة ثورة إصلاحية كبرى شملت جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ذلك لأن الدين الإسلامي يحمل كل ما هو يطيب القلب ويرضي النفس الإنسانية، فالأمور التي أباحها الإسلام كانت موافقة للعادات والتقاليد السائدة عن الكانوريين بل عند الجميع لأن الإسلام جاء بما هو موافق للفطرة البشرية.

ثالثاً: الخصائص الثقافية للكانوري

لقد ساهم الكانوري في نشر الحضارة الإسلامية، ولاسيما بعد انتقال مملكة كانم من شرقي بحيرة تشاد إلى إقليم برنو غرب بحيرة تشاد، بعد نشوب الخلافات بين البلالة والكانميين، والذي انتهت في النهاية إلى تحويل المملكة من كانم إلى كانم برنو.

فاشتهر سلاطين الكانوري بنشر الثقافة الإسلامية متمثلاً في حبهم للعلماء وتعظيمهم الشديد لهم أمثال: (الحسيني، 1998: 33).

- **الشيخ محمد أبواراس:**

هو أحد أبناء قبيلة الكانوري، وهو الحافظ الجامع الشيخ محمد النبران المعروف بأبي راس بن الشيخ آدم جبريل محمد علي الخزرجي الأنصاري البرناوي، تلقى تعليمه عند مدينة (كوكو) على مشايخها أمثال: الشيخ الحاج العويلي، والشيخ موسى بن القاضي عمر الغزالي وأمثالهم، وقد حفظ القاموس المحيط، والكوكب الساطع وعقود الجهات، والكافية والتحفة والتكميل وقد لقب بالحافظ (الحسيني، 1998: 33). أخذ من الشيخ أبي راس كثير من العلماء منهم الشيخ عبد الحق بن محمد السنوسي الترجمي، والشيخ طاهر بن آدم أبو شارب والشيخ محمد حلو، والشيخ محمد بن عامر الكانمي.

- **محمد حلو البرناوي (1864م-1941م):**

هو الشيخ الخطيب أبو آدم جبره محمد حلو البرناوي، نسبه إلى إمبراطورية البرنو الإسلامية، ولد في منواشي سنة 1281هـ-1894م. حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه والتوحيد على يد كوكبة من علماء عصره، ثم انتقل إلى أبشة من منواشي لنهول من معين علمائها، ومنها انتقل إلى برنو ليلتقي بأخيه محمد نبراس ليحصل على المزيد من العلوم والفنون والآراء، ومنها دخل إلى جيكنا عاصمة باقرمي عام 1361هـ-1941م، وانتقل بين عواصم الممالك وأفاد من العلماء وتزود من علومهم المختلفة، فكانت ثقافته مترامية الأطراف لكثرة منابعها وتنوع روافدها، وقد وافته المنية ربيع الأول 1361 الموافق 1941م (الحسيني، 1998: 33).

- **الشيخ محمد بن برمة نورين الدليل:**

هو محمد برمة القاضي كانوري أصلاً وداي مولوداً والباقرمي منشأ، ولد في مدينة أبشة عاصمة مملكة وداي عام 1297هـ، وتربى في كفالة أبيه محمد نور. حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات، وأخذ الشيخ محمد برمة من والده الشيخ محمد نور (الفقه – مختصر الشيخ خليل والرسالة والتحفة – والمدونة لابن مالك) وبعض مؤلفات الشيخ عبد الله بن جودي (الحصن الحصين). وتخرج على يديه عدد من التلاميذ، وكان كثير الصدقة والإحسان، وشيخاً في الطريقة التجانية، وعرف بحسن الخلق وسلامة القلب وصفاء النية مع الناس وله كتاب في التوحيد، ثم وافته المنية 1389هـ (الحسيني، ب ت: 173).

أما المدارس التعليمية فقد انتشرت في طول البلاد وعرضها وأقبل العلماء على التأليف في شتى المجالات الثقافية، ومن أبرز المدارس (مدرسة كلمبرد) الواقعة في الشمال الشرقي من العاصمة (عسرغمو) وقد أسسها العالم (ولدبد) المعني وأشرف عليها وأحياها الشيخ عبد الله البرناوي بعد عودته من رحلته العلمية في (تمبكتو – واغدس ومصر).

واعتناء كل ملوك كانوري بالعلماء حتى آخر ملوك برنو النشطين (السلطان علي الحاج الذي اشتهر في عصره (الحسيني: 33-35). فضلا عن انتشار المدارس والمعاهد العلمية، حيث أصبحت المملكة مركزاً علمياً هاماً يقصده طلبة العلم والمعرفة والقراءات من كل صوب، وكانت المدارس تجد دعماً قوياً من الخزينة، وكانت صلة تلك المدارس بالعالم الإسلامي والعربي عظيمة أمثال: (الأزهر الشريف وتنبكتو والزيتونة بتونس، ومدارس الصحراء الكثيرة المتعددة في أغدس، اهتمام علماء الكانوري، التجانية) (الحسيني، 33-35).

اهتمام علماء الكانوري بالتجانية:

وهي من الطرق المساهمة في نشر الإسلام، وسميت بالتجانية نسبة لمؤسسها أحمد التجاني، ولها ذكر على صورة أوراد مداومة يومياً متمثلة في ذكر الاستغفار (100) مرة والصلاة على النبي (100) مرة وذكر الجلالة (100) مرة وذلك صباحاً ومساءاً مع ذكر الوظيفة مرة واحدة في اليوم وهكذا هي الطريقة التجانية، وانتشرت في السودان الغربي حول نهر النيجر وذلك في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (الحسيني، 33-35). والكانوري من القبائل المتمسكة بالطريقة والناشرة لها بين الأوساط التشادية.

رابعاً: الخصائص الاجتماعية للكانوري

شعب الكانوري نتيجة لتمسكه بالدين الإسلامي العظيم، قد تخلص من حدود القبلية الضيقة إلى رحاب الإنسانية وإلى آفاق الإسلام الواسع، فصار لهم إسهاماً عظيمًا في تكوين المجتمع التشادي عن طريق الامتزاج والمصاهرة. عندما يقف الباحث على الحقائق التاريخية يعلم أن الكانوري كانوا من أسبق الشعوب الإفريقية اتصالاً بمنطقة تشاد، وأن الدم التشادي فيهم عميق وقوي، وأن استقرارهم بأرض حوض بحيرة تشاد كان بشكل أوسع وأقدم، والذي يؤكد ذلك وجود العادات البشرية المشتركة بينهما وبين بعض العناصر التشادية، حتى التشابه في اللهجة، وأمثال قبيلة (كانمبو) تشابه في البشرة والشعر وملامح الوجه، وكذلك عادات وتقاليد متشابهة ممتزجة حتى يصعب على الباحث معرفة أصل جذورها (الأبقاري، 63).

وهناك بعض من المسميات بالكانوري صارت متداولة في المجتمع التشادي مثل اليوم الثاني للدخلة في المجتمع التشادي له مسمى خاص هو (الميسكورو) وأصلها كانوري.

أسس اللباس:

لكل مجتمع ثقافة تنبثق من مجموعاته البشرية ونوع الثقافة لتلك المجموعة، فكان الكانوري لهم لباس خاص مميز، فمثلاً النساء عندهن لبسة معينة تسمى بـ (جومبي) يتكون من فستان قصير ويربط برداء مقدار ثلاثة أمتار أو أقل على حجم المرأة إن كانت نحيفة تكون مترين، وتربط فوق الفستان القصير، ثم خمار بنفس نوع القماش، فالمرأة الكانورية تربط شعرها بخمار ساتر، ولم تجد كانورية كاشفة الرأس إطلاقاً.

أما اللباس عند الرجال منها لبسة تسمى بـ(القرانبوبو) ويلبسون على رؤوسهم طواقي (جاكو، 370).

الحنة والكحل:

هي نوع من أنواع الزينة المطلوبة في الإسلام، والحنة نبات يجفف ويعجن ويوضع على رجلي المرأة ويديها، ويعطي لونا جميلا جداً يزيد أنوثة المرأة، والنساء الكانوريات يهتمن أشد الاهتمام بالحنة كباراً وصغارًا، حتى كبار السن منهن لهن اهتمام عظيم لتلك الزينة المحمودة، وكذلك الكحل فكلها من الزينة المباحة للمرأة في الإسلام وطبعاً الكحل حجر أسود يطحن وتستعمله النساء في العين لنظافة العين وتجميلها.

تربية الخيل:

الكانوري يحبون تربية الخيل، يستوردونها من (البربر) بثمن باهظ وذلك يؤكد على أن الكانوري من القبائل المهتمة بالدين الإسلامي لأن الإسلام اعتنى بتربية الخيل (علموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل).

وقد وصف "الحسن بن محمد الوزن" حب ملوك الكانوري بتربية الخيل وأنهم يهتمون بتجار البربر ويشجعونهم بجلب الخيل من بلادهم مقابل إعطائهم عبيدًا أي تجارة استبدال، أي يأخذون مقابل كل خيل عشرة من العبيد ويستعملونها للسباق ولسبب الغارات على العدو (الوزان، 1983: 176-177).

العادات والتقاليد:

هناك عادة متبعة عند الكانوري وانتشرت في الوسط التشادي، وهي التوجيهات العظيمة التي توجه للعروسة في أيام الزواج، وتلك التوجيهات تصدر من كبيرة الأسرة، غالباً ما تكون الجدة أو العمة، أي الكبيرة في السن، فالمرأة الكانورية تهتم بتلك العادة حيث تضع العروسة في مقعد خاص، ليلة الراس تسمع التوجيهات والنصائح وهي خاضعة، وقيل في القديم، وتجلس العروسة في مقعد عالي، وحولها الفتيان، وتقوم العمة أو الجدة بالنصائح الخاصة لتحمل عناء الحياة الجديدة بالصبر والمعاملة الطيبة للزوج وأقاربه والتحلي بمكارم الأخلاق والطاعة والاهتمام بالنظافة وغيرها من معاملة تساند في استمرار الحياة الزوجية بسعادة، ويكون له يوم خاص، وذلك صراحة ما جعل الكانورية أكثر النساء تحملاً لعناء الحياة الزوجية لأن لديها سلاحاً عظيماً هو الصبر.

علاقة الكانوري بالكانمبو:

ومن العناصر السكانية القاطنة لحوض بحيرة تشاد لها تأثير بالكانوري هم: الكانمبو والذي يصعب التمييز بينهم حتى في اللهجة والبنية الجسمية (طرخان، 23). والكانمبو من المجموعات التي استقرت في حوض بحيرة تشاد، وهي خليط من قبائل الساو والبربر، من هذه المجموعة ينسب

تكوين مملكة كانم، ويحتمل أن مجموعة الكانمبو قد استقرت مملكة الكانم قبل الكانوري، مما جعل الهوسا يطلقون على الكانوري نفس تسميتهم للكانمبو (بربر)، فانسجامهم مع بعض جعل عاداتهم متشابهة وحتى قيل من يجيد لهجة الكانوري لا تغلبه لهجة الكانمبو.

خامساً: الخصائص الاقتصادية للكانوري

ومن المعلوم أن الإنسان مورد وعامل إنتاجي استطاع على امتداد تاريخه استغلال المصادر الطبيعية المصلحة، ويمكن التحكم في معظمها، فلذا يعتمد الإنتاج الاقتصادي على القوة البشرية العاملة (طرخان: 23).

والكانوري يعد من العناصر البشرية التي عرفت بالقوة وخاصة في استغلال الموارد الطبيعية، فاسهم الكانوري في جميع أنواع الأنشطة الاقتصادية، على سبيل المثال حرفة الزراعة والتي لها تباين اجتماعي في الحياة الريفية، فتجد منهم من يملك الأرض التي يعمل فيها، وآخرون يستأجرون الأرض، وتقل نسبة العاملين بالزراعة في عناصر الكانوري لأنهم عرفوا بالتمدن، أي الأغلبية الغالبة تسكن المدن وتعمل في حرفة أخرى.

فقد ساهموا في التعدين لأنهم استقلوا معدن النطرون من بحيرة تشاد، بجانب مساهمتهم في النشاط التجاري أي في التصدير والاستيراد من مناطق دول الجوار، أي الكانوري من أوائل التجار في تشاد.

الكانوري والنشاط التجاري:

الكانوري من أوائل التجار في منطقة تشاد وصارت لهم معارف شتى في مجالات التجارة، فعرفوا فنون التجارة وقوانينها حتى صار منهم كبار التجار وهم يتقسمون إلى قسمين: تجار الجملة. 2. تجار القطاعي.

وتجار الجملة يجلبون البضائع من الدول المجاورة وخاصة تجارة الأقمشة، وحتى بداية القرن العشرين كانوا تحت سيطرة قبائل الكانوري والهوسا والأجانب من الدول الجوار أمثال السودانيين واللبنانيين والليبيين، وكذلك هناك تصدير للفول السوداني واللوبيا واللحوم، ومعظم المصدرون في ذلك الوقت من تجار الكانوري، أما بالنسبة لتجارة البسيطة وهي متداولة بين وسطاء القوم وهي عديدة ويمكن أن نلخص بعضاً منها:

تجارة الجلود: أي جلود الأغنام حيث يقوم بجمعها تجار الكانوري وعرضها إلى أشعة الشمس، وبعد جفافها وجمعها يقومون بتصديرها إلى الدول المجاورة، وصارت تلك التجارة من خصوصيات الكانوري (مقابلة شفوية: الحاج سعيد التاجر).

تجارة الأعشاب: من أنواع السلع المتداولة بين الأفارقة، (الأعشاب)، والكانوري أشد القبائل المتمسكة بها لاعتقاد الأغلبية أن هذا النوع من السلع يُستعمل في العلاج، فقد برع الكانوري في تجارة الأعشاب وتفننوا في معرفة أنواعها المختلفة.

تجارة الكولا (القورو): الكانوري أهل الكولا وهي أكلة مفضلة عند الكانوري وهم يستهلكونها بكثرة حتى صارت تلازم وجباتهم اليومية، ولها أهمية قصوى في حياة الفرد الكانوري وتأثيرها قريباً بالمنبهات (الشاي – القهوة) وأصبحت سلعة متداولة بين أيديهم.

تجارة البخور والعطور والخرز والودع والكحل: وهناك بعض السلع صارت معروفة للكانوري فقط دون غيرهم مثل البخور والعطور وأدوات الزينة من طيب وكحل، وظلت التجارة بفنونها وخصائصها تحت نفوذ الكانوري[1]. وهناك سلع أخرى كذلك للزينة مثل الخرز والودع، كلها سلع تجلب من نيجيريا إلى أرض البحيرة، وبما أن الكانوري أصلهم من نيجيريا إذن هم الأوائل الذين عملوا بذاك النوع من السلع.

الدور الزراعي للكانوري: ها هم في الأراضي الخصبة ذات المياه الوفيرة، حيث نرى نساء الكانوري يعملن مع الرجال في المزارع المختلطة، وعنصر الكانوري عنصر نشط يكد ويجتهد من أجل الوصول إلى حياة مليئة بالرفاهية والعيش الرغيد، كما هم في الأسواق كذلك في الحقول الزراعية، وكذلك في الصناعات البدائية كدبغ الجلود وعصر الزيوت، ويزرعون المحاصيل النقدية أكثر من الغذائية لطموحاتهم العالية، وما أكثرهم في محافظة شاري باقرمي الخصبة، ويهتمون بزراعة الفول السوداني بجانب الخضروات المنوعة.

الخاتمة:

إن الحضارة الكانورية في حوض بحيرة تشاد لها انتشار واسع، وازدهار عظيم، وظلت آثارها سائدة في مساحات كبيرة وقد شكلوا بالفعل وجوداً اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً واسعاً، وساهموا في تكوين الهوية القومية، واستحقوا الهوية التشادية سواء بالسبق الزمني، أو بالاختلاط والمصاهرة وخلال التطرق للجوانب المختلفة للكانوري. ونتيجة للتمازج السكاني وتداخل الأعراق تولدت مجموعات تشادية من حيث مكوناتها وانتمائها الأول.

يمكن أن نستخلص مجموعة من النتائج التي توصل إليها الباحث:

[1] الوعد: مجلة عربية جامعة: متخصصة في شئون القارة الإفريقية تصدر عن دار دنيا الكوكب، بيروت (ب.ت)، ص 139.

1. ثبت من خلال هذه الدراسة أن لكل مجتمع عادات وتقاليد متولدة من طبائع سكانه، ومنطقة حوض بحيرة تشاد لقربها من دولة نيجيريا وتأثيرها لما جرى فيها، أدى إلى انتشار الحضارة النيجيرية على امتداد أراضي حوض بحيرة تشاد.
2. نتيجة لتمازج السكان وتداخل الأعراق تولدت مجموعات تشادية متعاونة من حيث تكوينها وانتمائها الأول.
3. في القرن التاسع عشر حدثت تطورات اقتصادية وثقافية مهمة في حوض بحيرة تشاد وكانت لتلك القبيلة الكانوري آثاراً مباشرة على تلك التطورات وامتدت نفوذهم على نشاط الحركة التجارية في المنطقة.
4. ثبت من خلال الدراسة أن تداخل القبائل وترحالها وهجراتها المتبادلة كانت ومازالت سمة من سمات الوضع السكاني منذ أمد بعيد.
5. أن تنقل المؤشرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة، تركت آثاراً باقية على الواقع التشادي.
6. على الصعيد الديني حيث نجد الديانات الإفريقية التقليدية التي تتضح في شكل تقوس وممارسات في بعض أجزاء حوض بحيرة تشاد.
7. كما نجد أن الممارسات والمتقدات التي تتصل بالحضارة النيجيرية، ظلت منذ وقت بعيد تشكل بعداً من أبعاد الواقع الثقافي التشادي.

يوصي الباحثون بالآتي:

1. تشجيع الباحثين في معرفة تاريخ قبائل الكانوري التي سكنت منطقة حوض بحيرة تشاد.
2. معرفة تاريخ وصولهم إلى حوض بحيرة تشاد.
3. تعميق معرفة ثقافة شعب الكانوري الذي عاش في منطقة حوض بحيرة تشاد وترك آثارًا ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأبقاري، محمد الأمين (2003): الحضارة الإسلامية في مملكة باقرمي من 1301–1919، جامعة إفريقيا العالمية: رسالة دكتوراه غير منشورة.
2. أبو عيانة، فتحي محمد (دت): جغرافية الاقتصادية، دار النهضة، بيروت.
3. أيوب، محمد صالح (1995): الدور الاجتماعي والسياسي لعبد الحق السنوسي الترجمي من دار وداي، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
4. جاكو، محمد شريف (1997): العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية التشاد وجمهورية السودان [1960– 1990م]، مدبولي، القاهرة.
5. الجنيدي، أنور (1986): معلمة الإسلام، المكتب الإسلامي.
6. الحسيني، إبراهيم صالح (1976): تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
7. الحسيني، إبراهيم صالح (1998): الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية، مكتبة النهضة الإسلامية، ميدغوري – نيجيريا.
8. الحسيني، إبراهيم صالح (دت): الاستذكار: مخطوطة الجزء الثاني، غير منشور، مركز البحوث والدراسات الإفريقية.
9. السراج، زين العابدين عبد الحميد (1975): دولة كانم الإسلامية في القرن 9–14م، كلية الآداب قسم التاريخ، القاهرة، رسالة ماجستير.
10. السفير جلال، عبد المعز عبد الرحمن (1999): الصراعات والحروب الأهلية في إفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية – القاهرة.
11. القلقشندي، أحمد بن علي (دت): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، ليبيا.
12. ليون الإفريقي، محمد حسن الوزان (1983): وصف إفريقيا.
13. محمد، حسن محمود حسن (2004): تاريخ الشعر التشادي، أنجمينا، تشاد.
14. مقابلة شفوية: الحاج سعيد التاجر في أنجمينا، الساعة 03:00 – 04:45، حارة مرجان، دفق.

15. ملالا، موسى (2005): ثورة فروليتا: ما لها وما عليها كما عاشها موسى ماندیلا، الخرطوم.

16. الوعد (دت): مجلة عربية جامعة: متخصصة في شئون القارة الإفريقية، دار دنيا الكوكب، بيروت.